قبل مغيب الشمس

قبلما الشمس بالحجاب توارتْ والى الغرب من سما الشرق سارتْ
والى الشرق بالوداع اشارت حركت ساكن الجوى واثارت
في فؤادي لواعج الاشجانِ

كنت اذ ذاك ظاعناً مستقلاً جاعلاً لي من ظهر طنجور[1] رحلاً
مطلقاً ناظري لكي يتملّى ما يراهُ على الضفاف تجلّى
من مجالي الخراب والعمرانِ

ونسيم المساء هبَّ بليلا "قارصاً للخدود شيئاً قليلا"
وجرى النيل تحتنا سلسبيلا وعليهِ طنجور سارت ذميلا
ثغر حلفا ترشُّ من اصوانِ

شغلتني براحِ عند البراحِ عن شخوصي الى الرُّبى والبطاح
واليها من شدة والتياح وبملء الحنين والارتياح
فرَّ قلبي وطال معهُ جناني

ومن الافق زالَ باقي النورِ اذ محتهُ يدُ الفنا والدثورِ
وغدا الشرق مثل اهل القبور خابطاً في حنادس الديجورِ
لا بدانيهِ في الظلام مدانِ

***

عند هذا وقفت وقفة حائرْ ذاهلاً غائباً بصورة حاضر
غائصاً في هواجس وخواطر ارقب الافق ظاهراً غير شاعر
انني عنهُ قد ثنيتُ عناني

وبعين الفكر التفتُّ بعيداً باحثاً في امرٍ اراهُ مفيداً
لستُ اروي عنهُ حديثاً جديداً فط لم يروَ بل اتيت معيداً
بعد ما قيل من قديم الزمانِ

(١) اسم احدى بواخر حكومة السودان التي تسير بين حلفا وشلال اصوان

شقّ فكري غلالة الظلماء والى الغرب سار فوق الماء
فرآهُ متعماً بضياء هو سرُّ النماء والاثراء
واساس التقدم الانساني

ابصر الشمس في سماهُ تلالاً فنفت شيب الدجى وازالتْ
وبها عزّت البلاد ونالتْ ما ارادت حتى سمت وتعالتْ
فوق كل الامصار والبلدانِ

لم يشاهد في الغرب من آثارِ لظلام يغشي سما الابصارِ
فارقاً بين ليلهِ والنهارِ مثل فرقٍ تراهُ في الشرق جاري
كل يوم مشاهَداً بالعيانِ

بل رأى فيهِ عندما الشمس غابت الف شمس عنها على الفور نابتْ
وبها قرّت العيون وطابت كل نفس كما اشتهت وأصابتْ
ما تمنت من المنى والاماني

ما اكتفوا مثلنا بلمح سناه في دُجى الليل من نجوم السماء
او بنور للزيت واهي الضياء بل أناروا بالغاز والكهرباء
ما ارادوا في ارضهم من مكانِ

فشجاني ذا الاختلاف العظيمُ واعتراني منهُ عذابٌ أليمُ
ليتَ شعري حتى مَ تبقى الغيومُ مطبقاتٍ وهل تنظرُ الغمومُ
خانقات الافكار والاذهانِ

فهنا الشرق في شقاء مؤبَّد بات والغرب في نعيم مخلَّد
ذاك يهوي وذا الى الاوج يصعد ذا صحيح يسعى وذاك مُقعَد
ذا نشيط تامٍ وذاك فانِ

ذا مثيرُ الادواء مذكي الشجونِ ومذيبُ الاحشاء مبكي العيونِ
ومذيق الرقوم والغسلين لنفوس ترى بشرب المنونِ
راحة من مذلة وهوانِ

وعليهِ الكلام تحصيل حاصلْ فاذا طالـ كان من غير طائلْ
والماري في ذيهِ الحقيقة جاهلْ ليس يدريهِ او غافل او خاملْ
قانع بالصغار للذلـ عانِ

وعلى الباحثين لم يبق خافٍ سبب الفرق علةُ الاختلافِ
عرفوا السرَّ بعد بحث كافٍ وابانوا الاعراض لكن تلافي
شرها ما رأوهُ في الامكانِ

عرفوا الشرق انهُ لا يبالي بسوى الفخر بالرميم البالي
وبما نالَ في العصور الخوالي من نعيم وسؤدد وجلالِ
ومنىً في غنيً ورفعة شانِ

تشرق الشمس فيهِ كل نهارٍ فيبالي من خفة واغترارِ
انهُ وحدهُ بلا إنكارٍ مشرق الشمس مطلع الانوارِ
ومنارُ الارشاد والعرفانِ

فاذا ما عنهُ اختفتْ في المساء واتاهُ الظلام بعد الضياء
قالَ هذا عليَّ حكم القضاء وقضى الليل وهو كالعشواء
خابط او كمعشر العميانِ

فقضى عمرهُ كما شاء لهوا قانعاً بالكفاف يؤتاهُ عفوا
واجداً بالقضا عزاء وسلوى او معيداً للدهر ذماً وهجوا
مهمهُ لا يطاق في الآذانِ

وعصى العقل اذ نهاهُ وازرى بنهاهُ وعدَّ نجواهُ كفرا
وهواهُ اطاع سرًّا وجهرا وهو جارٍ مع طبعهِ كلَّ تجرى
بكمالِ الخضوع والاذعانِ

بالقديم العتيق مغرًى مقيَّدْ نفسهُ دائماً لهُ متعبِّدْ
لم يغير ذا الحكم بل لم يولِّدْ من جديد لكنهُ قد يقلِّدْ
في مضرِّ النفوس والابدانِ

***

قالي كي يا شرقُ هذا التغابي والتعامي عن الهدى والصوابِ
أنظر الشمس فهي قبل احتجابِ كل يوم نذيرة بغيابِ
ليس من بعدهِ شروق ثانِ

الخرطوم أسعد داغر